

# الوعي الحضاري في حركة الترجمة العربية

د. جمال العتاجي

د

ما كنت شك في ان الترجمة (حركة النقل) من اللغات الأخرى إلى العربية موت بصراخ عديدة منذ القرن الأول الهجري حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

د

د

ويذكر ان للسريان قبل الإسلام وبعده، زمام الثقافة في المراكز الثقافية، وفي العديد من الأديرة والمكاتب الصغيرة المنتشرة في الشام والعراق. ويتمثل دورهم بمساهماتهم في نقل الثقافة اليونانية إلى لغتهم السريانية، فحافظوا على الكتب اليونانية التي فقدت أصولها، واعتمد العرب المسلمون تلك الترجمات فيما بعد. وقد اسهم السريان بنقلها إلى العربية، ابتداء من العصر الأموي، كما ترجم السريان، بعض الكتب عن الفارسية، وذلك بحكم اقامتهم في بلاد فارس، واتصالهم بثقافتها. ويمكن القول ان الحركة الثقافية بدأت مبكرة في القرن الأول الهجري أيام الدولة الأموية، وكان لفشل خالد بن يزيد واکراهه على التنازل عن الخلافة المتوارثة، اثر كبير في نفسه، دفعه إلى حقل جديد، مجاله العلوم والبحاث. وانصب اهتمامه اولا على الطب والفلك، ونظم الشعر ورواية الحديث. وتمكن خالد من تحقيق رغباته بتعريب العديد من الكتب وجلب المترجمين لها. من اليونانية والقبطية، والسريانية إلى العربية وعدت هذه الترجمة " اول نقل في الإسلام". ان ما يثبت حدوث مثل هذه الترجمات، في هذه الفترة، ما اكتشف من وثائق البردي المكتوبة باللغتين اليونانية والعربية التي تعود إلى فترة حكم الوليد بن عبد الملك (٦٠١-٦٣٢هـ). وهناك اشارات متناثرة في فهرست ابن النديم حول الكتب التي

ترجمت في عهد خالد في مجالات الطب، والكيمياء، ولم يقتصر دوره في الاشراف على التعريب فحسب، بل جعلته المصادر العربية، عارفاً بالطب متصراً فيه. وعلى الرغم من ان حركة الترجمة بدأت ضعيفة المستوى، إذا ما قورنت بالترجمات الأخرى في الأديرة التالية، الا ان هذه البداية كانت الحجرالاساس لهذه الحركة، وظلت الترجمة مقصورة على العلوم الطبيعية والكيمياء والطب، ودون ان تتعدى ذلك في العلوم العقلية، كالنطق وعلم النفس، وما وراء الطبيعة، ويمكن القول ان زمن المأمون شهد النقلة لأكثر نضجا في مستوى الترجمة، وتحققت فيه النقلة النوعية في المادة المترجمة، فضلا عن زيادة عدد النقلة. وتنبغي الإشارة أيضاً إلى اهتمام الخليفتين المنصور، والرشيد بهذا الميدان، إذ دعا المنصور إلى ترجمة كتاب الفلك "السند هند" من الهندية إلى العربية، وفي عهده ترجمت عدة رسائل لأرسطو طاليس وكتاب " المجسطي" لبطليموس واصول الهندسة لأقليدس، كما وجه الرشيد المتعلمين ومتقني اللغات إلى ترجمة العديد من الكتب العلمية بأشراف (يحيى بن ماسويه).

ان الالفت للانتباه، هو اهتمام المأمون بحركة الترجمة وتميز عصره بظهور اشهر المترجمين الذين ترجموا مختلف الكتب والمصادر، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر (حنين بن اسحق) و (يحيى بن ماسويه). كما شهدت توافد العديد من المترجمين لبغداد من النساطرة، واليعاقبة، والصابئة، والروم، والبراهمة، الذين ترجموا العديد من الكتب عن اليونانية، والفارسية، والهندية، وغيرها من اللغات. ويأتي في مقدمة هؤلاء المترجمين (حنين بن اسحق)، وأغزهم انتاجا في الترجمة من اليونانية إلى العربية، وإلى جانب اتساع مجال نشاطه، فإن ميزته تكمن في الطريقة اللغوية التي استعان بها في تحقيق النصوص الاغريقية، التي يمكن الوثوق بها، وفي فهمه الممتاز للاصول، وكذلك في اللغة العلمية العربية. التي تطورت على يديه، إذ تشير المصادرالتاريخية ان ابن اسحق العبادي، ولد في (حيرة العراق) ١٩٤-٢٦٠هـ، وسافر إلى البصرة، فاخذ العربية عن الخليل بن احمد الفراهيدي، ثم انتقل إلى بغداد فكان فصيح اللسان بارعا، شاعرا، وبحماسة الشباب الغض اخذ يصغي إلى محاضرات (ماسويه). سافر إلى بلاد الروم، وبلاد الاغريق، وتعلم اللغة الاغريقية، حتى اقتنها بدرجة مكنته من ان يقرأ ويكتب بنصوص الاغريقية الاصلية، ويتوصل اليجاتيها الفارسية، اما الآرامية، فقد كان يعرفها، ويتحدث بها منذ طفولته، إلى جانب ذلك تمتعه بمعرفة واسعة في كل فروع المعرفة، ورغبة صارمة في اتقان عمله، تتجليبوضوح المعنى والدقة

في ترجمة النص. وفي ضوء ما تقدم، يعد حنين ابن اسحق، ابرز الشخصيات اطلاقا في تاريخ ترجمة الفلسفة والعلوم عن اليونانية، وشكل نشاطه العلمي مرحلة حاسمة في تاريخ الترجمة، ذلك ان توفر تلك السمات، اقتضى اما اعادة ترجمة المؤلفات، واما تنقيح الترجمات السابقة بعد مقارنتها باصولها بعناية فائقة، وحنين على ما في الأخبار، ضرب بسهم وافر في هذا المجهود، مع انه كان يستعين بفرق من المترجمين لا يزلون عنده كفاءة، من ابرزهم ابنه اسحق، وتلميذه عيسى بن يحيى. نخلص من ذلك إلى القول: ان تلك الحقبة شهدت سعي المأمون بجهد منظم، وعزم أكيد إلى الحصول على اهم الآثار اليونانية، وتعد هذه الحقبة نقطة التحول في تقدم الفكر الفلسفي والنشاط الكلامي في الإسلام، إذ كان يرأس مجالس العلماء التي انعقدت حول الجدال في مسائل كلامية وفلسفية والنشاط الكلامي في مسائل كلامية وفلسفية باللغة الجردا، وكانت المناقشات تلقي ضوءا ساطعا على المشاغل العقلية والمناخ الفكري العام الذي ساد في ذلك العصر، وتقبل بسبب ذلك اعنف الانتقادات لعهد بافتتاح ورضاعة بالغين، فوفص عهده بالتسامح، والدفاع عن تيار المعتزلة، والعمل على ترسيخه، وفرض معتقداته السياسية والدينية على خصومه من الفقهاء

وجمهور المسلمين. ان مشاغل المأمون العقلية، وتحيزه الكلامي الواضح، عززا ولا شك، عنايته بعلوم اليونان وفلسفتهم، والعمل على ترجمتها، فأنشأ (بيت الحكمة) كمؤسسة تابعة للدولة، ومكتبة للترجمة والبحث، ورغبة منه في ان يمد هذه المكتبة بكتب علمية وفلسفية مهمة أرسل وفودا إلى بلاد الروم في طلب كتب (العلوم القديمة)، تولى نقلها إلى العربية فريق من خيرة العلماء. ان المتتبع لحركة الترجمة في سياقها التاريخي، يمكنه الوصول إلى حقيقة لا يختلف عليها اثنان، هي ان الاصاله قدر مشترك بين جميع الحضارات، ولا توجد حضارة انسانية، قط، تضردت بالابداع أو تضردت بالنقل، أو خلت من السمات التي تميزها بين سمات الحضارات الأخرى. ويمكن القول ببناء على ذلك، ان حركة الترجمة والنقل تمت في اطار الوعي بما هو انساني، عام، إذ ادرك المسلمون انذاك ان التراث اليوناني السابق عليهم، اشتمل على نصوص تخص اليونانيين انفسهم، فنظروا اليونانيون بعد ما تسلموا مقدماتها من مصر القديمة وبلاد الشرق، فترجم المسلمون العلوم، باعتبارها النص الأولى بالمعرفة، من حيث طابعها الانساني العام لا الثقافي الخاص، لم تترجم انذاك الااليادة، والادويسة أو النصوص المسرحية، أو غيرها من كتب الأدب اليوناني، وانما بدأت الترجمة بالكيمياء، ثم الطب والفلك،

والرياضيات وايضا المنطق والفلسفة، بمعنى اخر يمكننا القول: ان هذا الوعي والحس الحضاري، لم يتمثل بجعل العلوم تنطق بالعربية فحسب، وانما فتطورت الاصطلاحات العلمية، واتسعت دلالتها مع انتقالها التدريجي من اللغات الأخرى إلى العربية. وبذلك تم ادخال التراث القديم إلى المنظومة المعرفية العربية. الانسانية. ومن ناحية أخرى، عاصرت حركة الترجمة حركة أخرى، توفرت لها اجواء فسيحة من الحرية في الجدل، والتفكير، هي حركة علم الكلام. وظهور تيارات عقائدية متباينة، في محاكمة النصوص، أو الاجتهاد فيها، والتحقيق بعيدا عن الموروث الديني والعقائدي السابق لها، وهو ما اشرفنا اليه في مذهب المعتزلة، الذي يعد العقل مصدرا للمعرفة، وتعويلهم على الشك والتجربة كمظهرين اساسيين للتفكير العلمي لديهم. ودعوتهم للربط الجدلي بين الفكر العقلاني، وبين مفهوم الاجتماعي من قضية العدالة، فكانوا روادا للتنوير، ودعاة للمساواة في الوقت ذاته. ولا غرو، فقد عرفوا بأهل (العدل والتوحيد). ان مناخ التجربة الذي ساد اجواء "الكلام"، اسهم في ازدهار حركة الترجمة، ونقلها من اطار المهنية أو الحرفية الضيقة إلى فضاءات اوسع افقا، كونها واحدة من عمليات الانتاج والابتكار.

## خرافات اندرسن وحكاياته الخيالية

ضمن سلسلة الكتاب الشهري الذي تصدره "دار المدى" صدر مؤخرًا العدد (٧) (قصص وحكايات خرافية) لهانس اندرسن، ترجمة دنيا غالي، في مسعى ثقافي جاد اضطلعت به الدار في سلسلتها (الثقافة للجميع) التي اتاحت الفرصة واسعة لقطاعات كبيرة من القراء، بهدف اشاعة المعرفة وتسهيل وسائلها ذلك بتمكين القارئ من الوصول إلى يناجيم الادب العالمي، والثقافة الانسانية بايسر السبب واكل التكليف،

د

## العامية في شعرنا الحديث الشاعرا رشدي العامل نمونجاً

٢٠٢

عيسا الصباح

نساء يتشوفن من السطوح أي ينظرن ويتطاولن) ثم مالبت ان استعمل المجرى (شاف) للرؤية فحسب دونما تطاول أو اشراف وشاع في لغة الكلام اليومي هذا المعنى وكذلك استعمله الشاعر. ويستعمل الفعل (عاف) بمعنى ترك، وهذا المعنى عرفه الناس ودار على سنتهم يقول: هل تحلم بالجزر المنسية يا رجلا عافته الاشرعة البيض وغادره المركب والبحار وقع الفعل (عافته) بمعنى تركته وهو معنى منقول من العامية والاصل فيه (يدل على كراهة)، ف (عاف الشيء يعافه... كراهه فلم يشربه طعاماً أو شرباً . قال ابن سيده: قد غلب على كراهية الطعام) ، و (عاف الرجل الطعام والشراب يعافه: من باب تعب عيافة بالكسر: كراهة فالطعام معيف). وفي (حديث النبي "صلى الله عليه وسلم" : انه اتى بضب مشوي فلم ياكل فقال اني لاعافه لانه ليس من طعام قومي. أي اكرهه) وكراهية الطعام والشراب في الفعل (عاف) توجب تركه ، وقد غلب الترك عليه فانقلبت دلالة الترك اليه فاستعمله الناس بهذا المعنى في اشياء اخرى غير الطعام والشراب، ومنها ما ورد في النص المذكور انفا فقد قصد الشاعر إلى ان الاشرعة البيض قد تركته.

المبالغة في اظهار لواعج الحب. ونحوه أيضا: اعرف ان الدم لا يغدو ماء في جسد الإنسان فمعنى عبارة (ان الدم لا يغدو ماء) عادة ما يرددها رجل الشارع في مواقف معينة مكنياً بها عن الوفاء والاخلاص وتأكيد صلة الرحم وانه لايزال ملتزماً وفيها لهذه الصلة. ومن المعاني الدارجة الموضوعية في صياغات تبدو فصيحة قوله: وانا وعمرى لاعيان على رهان لا تكف ان طاب أو ما طاب احب منه ضرعا لا يجف في كلامهم الدارج والشاعر نقله إلى سياقات شعرية غير ان طابع العامية صيغ تلك السياقات بصيغته، ومن العبارات التي ازلها الاستعمال اليومي وجعل معناها عاميا ما جاء في قوله: خلى الهوى يلعب في داري امرحه حبي وشاعري ارده طفلا ضعيف الخلى يلعب بالنار فالعبارة (يلعب بالنار) كناية عن ورود المخاطر دونما وعي وربما تهورا وهي مما تتناقله الالسنة في مواقف التحذير أو الوصف بالتهورا والاندفاع. مما تقدم يتبين ان الشاعر وظف لغة الكلام اليومي في شعره لانها عدت من مستلزمات الشعر الحديث، ومن خصائصه الاسلوبية، وغاية الشاعر ان يكون شعره مفهومنا سريع الوصول إلى متلقيه وله القدرة على ان يمس أكثر مناطق الواقع حساسية وصلة بالانسان.

ان استعمال العامي في سياقات شعرية فصيحة، من شأنه ان يكسر نمطيتها، ويحدث صدمة لدى متلقيها، وعادة ما توصف هذه الصدمة بانها ذات اثر اجمالي تسهم في تحقيق شعرية النص.

من الاشكال الأخرى في توظيف العامية في شعره هو ما لجأ اليه الشاعر من نقل تركيب عامية غير ان مفرداتها الداخلة في التركيب لا غبار على فصاحتها الا ان معانيها دارجة مما يتداول في لغة الكلام اليومي نحو قوله: كنت ممي تضحك جدلي لو رأت اهدابك الازهار

كنت تموتين من الحب وكانت تضحك الاشجار فالتعبير (كنت تموتين من الحب) ومعناه منقول من اللغة الدارجة وكثيرا ما يستعمل الناس العبارة (يموت من الحب أو تموتين من الحب) ولا سيما في الاغاني بقصد

ويستعمل الشاعر عدداً من الافعال الفصيحة استعمالا عاميا كما في قوله: لست وحدك اذ يدور الباب يرزح عن خطى انسان تلوب به عروق الجوع والحرمان وتقذفه بعيدا عن رمال الشاطئ الاحزان كثيرا ما يدور على الالسنة الفعل (يلوب) في وصف موقف نفسي أو عضوي يجتمع فيه الاضطراب واللوعة من شين ما، والشاعر عبر بهذا الفعل عن اضطراب انسان معين ولوعته بسبب الجوع والحرمان. والفعل (لاي) في فصاحتها يدل على غير ذلك و (اللوب واللوب: العطنش) والفعل (لاي يلوب لوبا... اي عطش فهو لائب... قال الاصمعي: إذا طافت الابل على الحوض ولم تقدر على الماء لكثرة الزحام فذلك اللوب). يتبين من هذا ان الشاعر استعمل الفعل "تلوب" بالمعنى المتداول على السنة الناس في وقتنا الحاضر.

ومن الافعال الفصيحة الأخرى التي استعملها الشاعر باطر عامي ما جاء في قوله: من شاف وجه امراة يضحك لكن عيون القلب في اهدابها مطفاة الفعل (شاف) هنا بمعنى راي في حين ان (الشين والواو والفاء اصل واحد وهو يدل على ظهور ويرور... ثم قيل لجلو الشيء شوف) و (شاف الشيء شوفا: جلاه) فهو مجلو ثم تطورت لآلته فاصبح بمعنى الرؤية من علو اي (اشرف ونظر) وذلك بان المزيد منه فيه هذا المعنى، ففي لسان العرب (واشتاف فلان يشتاف اشتيافا إذا تطاول ونظر، وتشوفت إلى الشيء أي تطلعت ورايت

العيش، وسط اسرته الفقيرة، لكنه تعلق بالفنون منذ صغره، فأقام في ركن من الغرففة الوحيدة لاسرته مسرحا للدمى، وراح يمضي وقته في محاكاة دماء وتحريكها متخذاً منها شخصيات مسرح الخيالي الصغير، حيث كان يتابع بشغف عروض مسرحيات شكسبير وسوفكلس وسواهم من عباقرة المسرح، التي كانت تقام على المسرح الملكي في (كوبنهاغن)، وكل ما يعرض في مسرح مدرسته، الا انه كان في "الدرسة ليلداً ثقيل الفهم، اخرق، يرتبك في حركاته، يندف بين الناس بقامته الطويلة يثير سخريتهم لمجرد رغبته في ان يكون ممثلاً (انه فرخ البط القبيح) كما وصف نفسه، لكنه ما لبث ان هجر المسرح وتحول اهتمامه إلى الحكايات الشعبية والحرفات والقصص التي راج يقصها على الصغار من اقربانه، تلك التي كان يسمعها كل مساء من امه، روايته البارعة، المرأة البسيطة التي تعمل غسالة في النهارات، كانت تؤمن بالخرافات التي حفظتها عن ظهر قلب، واخذت تقصها على ابنها بأهتمام، حتى الهبت خيال صغيرها، فانطبعت خرافاتها كالحقيقة في وعيه، ونقشت سحرها في صفحات ذاكرته الطرية، مما جعل حكاياتها تمثل نقطة الانطلاق الأولى في خياله الطفولي المرفه، إلى الحد الذي اقنعه بأن عالم الخيال أكثر جمالا من حقيقة عالمه الراكد المدم، والقصاص التي كان قد سمعها وراح يرويها لاقرائه الصغار. وبعد ان كتب العديد من الروايات والقصص والذاتيات من الكتب، عبر رحلة حياته المعقمة بالخبرات والتجارب، كتب ذات مرة (كنت كالجلي الذي يرسخ قدمه في صخر الصوان، اختل مكاني في الادب على مهل ومشقة) فقص جميع قصصه وحكاياته وفتفت باللمعة والجمال والحكمة والفكاهة، فمخلوقاته ممثلة بالحياة بما

فيها الحجر والجمادات سرت فيها الحياة أيضاً في مملكته الخرافية، وحكاياته الزاخرة بالصورة الحية التي تشف عن خبرته وتجربته في التشرد والترحال عبر البلدان، فضلا عما تمتعت به كتاباته من نفس شاعري، وتحقيقات الخيال التي تشد اليها الصغار الكبار كما وصفها بنفسه (حكاياتي الخرافية هي للكبار كما هي للصغار في الوقت نفسه، حيث الاطفال يفهمون السطحي منها، بينما الناضجون يتعرفون على مقاصدها ويدركون فحواها، وليس هناك الا مقدار من السداجة فيها)، وفي وصف حكاياته وارتباطها بالشعر، كتب يقول (اجد في تاليف الحكايات الخرافية ملكة الشعر العظمى، التي تمتد من قبور العصر القديم إلى كتاب الاساطير المصور الطفولي البريء، الكتابة تجمع بين طياتها التاليف الشعبي والتاليف الفني، بالنسبة لي فهو يمثل الشعر كله، بكل اشكاله الذي يكون

غسان كاظم

وتمثلت اهمية هذا العدد بقلة الترجمات بشأن نتاجات الكاتب الدنماركي، هانس اندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) الذي يعد احد اهم شعراء بلاده، إذ كتب الكثير من الاعمال الشعرية والمسرحيات والروايات، ولكنه احتل مكانته في نجمه في الأدب العالمي بكتابة الحكايات الخرافية وقصص الاطفال، ومن بين اعماله، كتاب في ادب الرحلات ١٨٣١ (صور الظل) الذي يحوي قصتين يتجلى فيهما بعد القص الخرافي، في عام ١٨٣٥ اول رواية له (الضمان المرتجل) حول الارتقاء الفني والاجتماعي، (حكايات خرافية) ١٨٣٥-١٨٤١ تروي للاطفال، تحوي الحكاية الخرافية (حورية البحر الصغيرة) التي تعد نقطة الانطلاقة الفنية لاجمل اعماله، رواية (واو، تاء) ١٨٣٦ حول الارتقاء الاجتماعي، (مجرد عازف) رواية ١٨٣٧ حول الاحباطات الفنية. مخلوقات نثرية (كتاب مصور بدون صور) ١٨٣٩ مستوحى من الف ليلة وليلة، (سوق شاعر) في ادب المسرحلات ١٨٤٢، (حكايات خرافية جديدة) ١٨٤٣، (قصص حياتي بلا رتوش) ١٨٤٧ سيرته الذاتية، رواية (ان تكون أو لا تكون) ١٨٥٧، (حكايات خرافية وقصص) ١٨٥٨، ١٨٧٢، كتاب في ادب الرحلات (في اسبانيا) ١٨٦٣، (ببر المحفوظ) رواية ١٨٧٠ حول الارتقاء الفني، الصعود إلى القمة، باسلوب فكاهي ساخر... وعلى الرغم من كثرة نتاجات اندرسن في حقول عدة الا ان موهبته برزت ببراعة، وذاعت شهرته في الادب العالمي عبر كتاباته قصص الاطفال، وحين سنل اندرسن ذات مرة عن سيرة حياته، اجاب: اقرأوا حكاية فرخ البط القبيح!. كتب الناقد كارانفيلوف معلقا (لكل مبدع ولكل شاعر حكاية فرخ البط القبيح الخاصة به، وهي العمل الابداعي الذي يكشف فيه عن معاناته، واحلامه، عن نجاحاته الأولى، الغمسة بمرارة الاخفاقات وعن مكوناته). عانى اندرسن منذ نعومة اظفاره من شظف



## مسالات سقوط

شعر- حمد شهاب الانباري

سقوط رجلٍ، يتلصصُ إذ يدخُلُ حجرته-  
مختبئًا بالرجفة في حقويه -  
وبالوقفة ما بين ذراع أخيه وبين يديه  
فتبغله التوبة -  
إذ يسقط من بين ذراع أخيه وبين يديه  
على الارض-  
سقوط ورقة، مرةً قال لي شجرٌ في الطريق؛  
يا فتى إذ تهب الرياح التي تسقط  
الورقة.  
ما الذي نتقيه مدي لهُوانا؟-  
فقلت الذي يورق المشنقه.  
سقوط فكري؛ اليلة إذ تغسله الأمطار.  
يسقط من عينيه السهر العائق في  
الأجفان-  
وتسقط في الوحل الأفكار.